

شجرة طوبى

[182] أخبرني عن شيئين منذ خلقهما الله قائمين، وعن شيئين جارين وشيئين مختلفين،
وشيئين متباغضين، فقال له ذو القرنين: أما الشيئان القائمان فالسماوات والارضون، وأما
الشيئان الجاريان فالشمس والقمر، وأما الشيئان المختلفان فالليل والنهار، وأما الشيئان
المتباغضان فالموت والحياة. فقال: أنطلق فأنت عالم فأنطلق ذو القرنين يسير في البلاد
حتى مر بشيخ يقرب جماجم الموتى فوقف عليه بجنوده فقال له: أخبرني أيها الشيخ لاي شيء
تقلب الجماجم ؟ قال: لاعرف الشريف من الوضيع، والغني من الفقير، فما عرفت وإني لاقبلها
منذ عشرين سنة فأنطلق ذو القرنين وتركه، وقال: ما عنيت بهذا أحدا غري فبينما هو يسير
إذ وقع على الامة العالمة من قوم موسى الذين يهدون بالحق وبه يعدلون فلما رأهم قال لهم:
أيها القوم أخبروني بخبركم فإني قدرت الارض شرقها وغربها، وبرها وبحرها، وسهلها وجبلها،
ونورها وظلمتها، فلم ألق مثلكم، فأخبروني ما بال قبور موتاكم على أبواب بيوتكم ؟
قالوا: فعلنا ذلك لئلا ننسى الموت، ولا يخرج ذكره من قلوبنا قال: فما بالكم ليس بينكم
حاكم ؟ قالوا: لا نختصم قال: فما بالكم ليس فيكم ملوك قالوا: لا نتكاثر قال: فما بالكم
لا تتفاضلون ولا تتفاوتون ؟ قالوا: من قبل إنا متواسون متراحمون قال: فما بالكم لا
تتنازعون ولا تختلفون ؟ قالوا: من قبل الفة قلوبنا وصلاص ذات بيننا قال: فما بالكم لا
تستبون، ولا تقتلون ؟ قالوا: من قبل إنا غلبنا طبايعنا بالعزم، وسبينا أنفسنا بالحلم
قال: فما بالكم كلمتكم واحدة، وطريقتكم مستقيمة ؟ قالوا: من قبل إنا لا نتكاذب ولا
نتخادع، ولا يغتاب بعضنا بعضا. قال: فأخبروني لم ليس فيكم مسكين ولا فقير ؟ قالوا: من
قبل إنا نقسم بالسوية. قال فما بالكم ليس فيكم فظ ولا غليظ ؟ قالوا: من قبل الذل
والتواضع، قال: فلم جعلكم الله عز وجل أطول الناس أعمارا ؟ قالوا: من قبل إنا نتعاطى
الحق، ونحكم بالعدل قال: فما بالكم لا تقحطون ؟ قالوا: من قبل إنا لا نغفل عن الاستغفار
قال: فما بالكم لا تحزنون ؟ قالوا: من قبل إنا وطننا أنفسنا على البلاء فعزينا أنفسنا.
قال: فما بالكم لا تصيبكم الافات ؟ قالوا: من قبل إنا لا نتوكل على غير الله عز وجل ولا
نستمطر بالانواء والنجوم، قال: فحدثوني أيها القوم هكذا وجدتم آبائكم يفعلون ؟ قالوا:
وجدنا آبائنا يرحمون مسكينهم، ويواسون فقيرهم ويعفون عمن ظلمهم، ويحسنون الى من أساء
إليهم